

مقدمة المترجم

بدأ اهتمامى بتاريخ المصريين القدماء وآثارهم عندما قرأت كتاب " أساطير فرعونية " ، ذلك الكتاب الرائع الذى صاغ فيه أبى/ كمال الدين الحناوى ما قرأه من أساطير الأجداد صياغة جميلة رائعة تستولى على لب القارئ ، وتدفعه عبر الزمان ليعيش فى زمن هذه الأساطير. ونما اهتمامى وتزايد مع قراءة " عبث الأقدار " و " كفاح طيبة " و " رادوبيس " للروائى الكبير/ نجيب محفوظ. ثم كانت زيارة المتحف المصرى وأهرام الجيزة وسقارة ، وبعدها آثار الأقصر منذ خمس وثلاثين عاماً ، ومداومة الإطلاع فى المجال والحرص على مشاهدة وتأمل آثارنا المصرية القديمة فى متحف القاهرة والمتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك وكذا اللوفر ومتحف تاريخ الفن فى فيينا وغيرها. كل هذا مع نزعة وطنية تدفع المرء دفعا إلى معرفة ما فعله الأجداد فى قديم الزمان ومقارنته بما نفعله اليوم على نفس الأرض. هذه النزعة التى تسعى " العولمة " الحديثة إلى القضاء عليها وتذويب الثقافات فى ثقافة واحدة ، أو إذا شئنا الحق : فرض ثقافة واحدة مع إلغاء الثقافات الأخرى. لكن من حقنا التمسك بثقافتنا وحضارتنا القديمة والحفاظ عليها ، من أجل بلدنا ومن أجل العالم أيضاً ، رغم العولمة. من هنا جاءت ترجمة هذا الكتاب الذى أعجبت به منذ عشر سنوات ولم تسنح الفرصة إلا قريباً مع مناسبة مرور ثمانين سنة على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى ديسمبر ٢٠٠٢م.

لقد جاء هذا الاكتشاف فى وقته ، إذ جاء فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ والبلد فى حالة من الغليان ، والكل لا يفكر إلا فى شىء واحد هو التخلص من الاحتلال البريطانى. عندما يواجه الطفل الصغير مشكلة ما يلجأ لأمه ، وعندما تواجه الأمة بأسرها مشكلة خطيرة تزعزع كيائها كله تلجأ لتاريخها القديم ، وتتمسك بأصلها الأول. لذا حرك اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى ذلك الوقت مشاعر الناس جميعاً ، فترى أثره بين الأدباء فى شعر أمير الشعراء أحمد شوقى الذى نظم عدة قصائد فى هذا الموضوع يمكن للقارىء مطالعتها فى الشوقيات ، ولها عرض مختصر فى كتاب " الآثار المصرية فى الأدب العربى " للدكتور أحمد بدوى (المكتبة الثقافية ، ١٢٤ ، القاهرة ١٩٦٥) وردت فيه مقتطفات من أربع قصائد يطول الحديث عنها لذا نكتفى بأبيات متفرقة على سبيل المثال:

أحاديث القرون الغابرينا	قفى يا أخت يوشع خبرينا
على وادى الملوك محببينا	ملوك الدهر بالوادي أقاموا
ولا يمضى جلال الخالدين	جلال الملوك أيام وتمضى
وحيا الله مقدمك اليمينا	وقولا للنزىل قدوم سعد

خُلِّقَ به تتفرَّدون	حبُّ الخلودِ بنى لكم
فانِ وأنتم خالِدون	البعثُ غايةُ زائلِ
أُترى القيامةُ تسبقون ؟	السُّبْقُ من عاداتكم
رةِ والبناءُ المحسنون	أنتم أساطينُ الحضَا
يُجزى الخلودُ المتقنون	المتقنون ، وإنَّما

ويتعرض الشاعر في شعره لأحداث زمانه ويحثّ الشباب على الناسى بالأجداد والافتداء بهم ، مع الفخر والدهشة والعجب وغيرها من المشاعر التي فجّرها هذا الحدث الكبير .

وفي شعر العامية لا يتأخر محمود بيرم التونسي عن الحدث الخطير ويراه من وجهة نظره الوطنية ، فيقول من بين ما قاله في قصيدته عن توت عنخ آمون:

في مصر كنت الملك لك جيش ولك حاميه

في دوله غير دولتك ماتتعمل موميا

وأُمَّه غير أُمَّتْكَ ما تزرع الباميا

ولما خشوا عليك المقبرة يلاقوك

نايم مفتّح ولكن في بلد عاميه

وما رأيناه في الأدب نراه في الغناء والطرب ، إذ تغنّت منيرة المهديّة بطقطوقة عن توت عنخ آمون ، وسجلتها على اسطوانة ، من كلماتها :

ما يحيش زبي ان لف الكون واحنا أبونا توت عنخ آمون

اسأل من التاريخ بنيك عن مجدنا وبعدين أماشيك

انت تورى الناس حتاويك واحنا أبونا توت عنخ آمون

مؤلف الكتاب سير إرنست ألفرد ووليس بدج Sir Ernest Alfred Wallis Budge (١٨٥٧-١٩٣٤م) عَلم من أعلام دراسة المصريات Egyptology ، لا يجهله من يدرس المصريات في مصر والعالم كله ، إذ كان من أعظم علماء المصريات في القرن

العشرين ، عمل أميناً للآثار المصرية والآشورية فى المتحف البريطانى زمناً طويلاً ، وله مؤلفات كثيرة بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر واستمرت حتى سنة وفاته فى ١٩٣٤ ، من أشهر مؤلفاته " كتاب الموتى المصرى " الذى ترجم فيه بردية أنى وشرحها وعلق عليها فى دراسة طويلة شيقة ، وله قاموس ضخمة فى اللغة المصرية القديمة ومؤلفات عن آلهة المصريين القدماء ولغتهم ، ومن أهم أعماله الكتاب الذى ختم به حياته " من الوثنية إلى عبادة الله فى مصر القديمة " From Fetish to God in Ancient Egypt الذى عرض فيه خلاصة بحثه فى تطور فكرة الألوهية فى مصر القديمة ، وهو عمل رائع يستحق أن يُنقل إلى لغتنا العربية.

أعد المؤلف كتاب " توت عنخ آمون " قبل اكتشاف مقبرته واستكماله ونشره بعد حوالى ستة أشهر من ذلك الحدث التاريخى. يعرض فيه المؤلف تطور العبادة من آمون إلى آتون مستعرضاً ما سبقهما وما تلاهما وموضحاً أن التوحيد قديم فى مصر سابق على عهد الأسرات. الحقيقة أن الكتاب لا يتحدث عن الكشف نفسه ، ولكن عما أثاره الكشف ، خاصة الحديث عن موضوع التوحيد فى مصر القديمة. هو كتاب يحتاج إلى قراءة متأنية ، ومعاودة القراءة بعد فترة.

أما الترجمة ، فقد التزمت بأسلوب المؤلف لدرجة الترجمة الحرفية فى معظم الكتاب ، والسبب فى ذلك أن المؤلف اعتمد كثيراً على النصوص المصرية القديمة وترجمها ترجمة حرفية بهدف أمانة النقل ، وحتى يستنتج القارئ منها ما يشاء ، لا ما يفرضه عليه

أسلوب المترجم ، وقد جذوت جذوه مضطراً وراغباً في معرفة المعنى الحقيقي لتلك النصوص القديمة ، مما أخشى معه أن يكون الأسلوب جافاً. لذا أكرر أنه يحتاج إلى قراءة متأنية. وهناك بعض الملاحظات التي يجب أن أعرضها على القارئ قبل أن يبدأ القراءة وهي:

١- قام المؤلف بشرح طريقة نطق بعض الأصوات في اللغة المصرية القديمة والتي لا يوجد لها مقابل في لغته الإنكليزية ، ولا داعي لذلك في هذه الترجمة نظراً لوجود مقابل عربي يعرفه القارئ ويستخدمه. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى وجود صوت لا مقابل له في اللغة العربية وإن وجد له حرف يمثل هذا الصوت في الحروف الفارسية ويعرفه القارئ وهو " پ " مقابل حرف P اللاتيني. وكل المواضع التي ورد فيها حرف الجيم من الأسماء المصرية القديمة ، فالمقصود هو نطقها كالجيم المصرية أو G ، وعند الحاجة إلى صوت الجيم العربية أو J استخدمنا الحرف " چ " رغم دلالاته الصوتية المختلفة في اللغة الفارسية. كما استخدمنا حرف " ف " للدلالة على صوت حرف V في اللغات الأجنبية.

٢- في بعض المواضع كان من الضروري إضافة لفظ أو أكثر للإيضاح ، وتم هذا بين قوسين مثل { } ، وذلك لتمييزها عن إضافات المؤلف بين الأقواس [] أو () ، فكل ما ورد بين القوسين { } فهو من إضافة المترجم.

٣- بالنسبة لأسماء الأعلام مثل: إخناتون وحورس وآتون وآمون وحوراختي ، تم الالتزام بالهجاء المتبع والشائع في الكتب العربية

على الرغم من مخالفة ذلك للنطق الصحيح أحياناً ، أو مخالفته لنطق مؤلف الكتاب (فى الأصل: أَخُونِ إِتْن - حِر - إِتْن - إِمْن - حِرِيَاخَوْتِي). مع استثناء بعض المواضع التى ذكرت فيها هجاء المؤلف ومعه الهجاء المعتاد ، مثل: اسم النوبة كيش وعند مؤلفين آخرين كوش. ويرجع هذا لتفسير الباحثين المختلفين لنطق حروف العِلَّة التى لا تُكتب عادة فى اللغة المصرية القديمة ، أو يتم استبدالها بغيرها فى العصور المختلفة. والترمت أيضاً باستخدام أَخَوْتِ إِتْن = أختِ إِتْن أو أحيثاتون ، نظراً لتعدد صور كتابتها الشائعة فى الكتب المتداولة ، وقلة تكرارها فى فصول الكتاب فى نفس الوقت.

٤- ترجمة النصوص المصرية القديمة :

أ- الترجمة حرفية عند المؤلف وكذا فى الترجمة العربية ، لأن المقصود هو نقل صورة دقيقة - وإن لم تكن أدبية بأى حال - للنصوص الأصلية ، حتى نحاول فهمها بعيداً عن المؤثرات الثقافية الحديثة (وإن كان هذا مستحيلاً!).

ب- فى ترجمة التراثيل الخاصة بأتون وآمون ورع ، خالفت المؤلف فى ترجمته لفظ أتون على أنه قُرْص (الشمس) واستخدمته كما هو ، فهو يحمل معنى قوى وقدرات أخرى غير أنه قُرْص الشمس. وكذلك السهام التى يفسرها بعدها بأنها الأشعة ، إكتفيت بلفظ الأشعة لأنه المعنى الواضح من النص الأصلي ومن المخصص الذى ينتهى به اللفظ ويدل رسمه على أن المقصود هو أشعة الشمس.

٥- تم تجميع هوامش كل فصل فى نهاية الفصل مع ترقيم مسلسل لكل فصل على حدة. ولا يمنع هذا من وجود تعليقات للمترجم وسط

النص الأصلي - بين القوسين { } - حتى يقرأها القارئ مع النص مباشرة ولا يبحث عنها.

٦- تم نقل كل الأشكال والرسوم واللوحات نقلاً أميناً ، مع الاحتفاظ بها في موضعها من النص الأصلي للكتاب على قدر الإمكان.

حرصت على ترتيب المؤلف لفصول الكتاب وعلى أسمائها رغم أنني أرى أن الفصل الأول (عهد توت عنخ آمون) دُخِل على الكتاب ، تمت إضافته حتى يواكب الكتاب مناسبة اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وكنوزها الرائعة ، وما أحدثه هذا الاكتشاف من دوى عالمي ، أشار إليه المؤلف في تقديمه للكتاب وكذا في نهاية الفصل الخامس (تطور عبادة آتون في عهد إمنحتب الرابع) ، ولينفق أيضاً مع عنوان الكتاب. وقد أورد المؤلف في مقدمته سبب تأليفه الكتاب وتكليف اللورد كارنرفون له بذلك. أما الفصل الثاني (توت عنخ آمون وعبادة آمون) فالأفضل أن يُسمَّى (عبادة آمون) أو (عبادة آمون منذ البداية حتى عهد إمنحتب الثالث). والفصل الرابع (عبادة آتون ، إله وقرص الشمس ، أصلها ، وتطورها ، وأقولها) هو في الحقيقة عن عبادة الآلهة الشمسية في مصر و (أصل عبادة آتون ، وتطورها في عهد إمنحتب الثالث). والحقيقة أن المؤلف يصل في الفصل الأخير (التوحيد المصري) إلى هدفه الحقيقي من الكتاب ، ألا وهو الحديث عن التوحيد في مصر القديمة ، ودور إخناتون فيه. هل هو حقيقةً توحيد ؟ وهل نجح إخناتون في حمل الناس عليه أم فشل في ذلك ؟ هذا ما تجيب عليه خاتمة الكتاب ، في فصله الأخير.

وختاماً ، أحب أن أنبه القارئ إلى أنه لا يوجد كتاب فى مجال المصريات والتاريخ المصرى القديم يخلو من المثالب والعيوب. فالمعلومات يعثرها النقص الشديد ، وآراء المؤلفين تبتعد - بالتالى - عن الموضوعية. ناهيك عن تناول تاريخ من ترى أنهم أقل منك شأنًا ، وهذه نظرة أهل الغرب دوماً لبلادنا. فانتبه أيها القارئ لبعض الغمزات الواردة فى الكتاب ، والتي تركناها كما هى ولم نعلق عليها إلا فى أضيق نطاق. وأحب أيضاً فى هذا الختام أن أشكر من ساعدونى على إتمام هذا العمل ، وأخص بالذكر أبى / كمال الدين الحناوى الذى قرأ الترجمة مصححاً الكثير مما ورد فيها من أخطاء ، ومعه زوجتى رانا التى قرأت هى الأخرى الترجمة وعانت من المترجم المنشغل بالترجمة - وإعادة الصياغة وغيرها من الأمور - عن الدنيا فترة من الزمن. وأحب أن أضيف أن أى خطأ فى هذا الكتاب هو مسئوليتى وحدى ، وأرجو أن ينبهنى القارئ له.

هشام كمال الدين الحناوى

القاهرة ، ديسمبر ٢٠٠٢م



تمثال من الحجر الجيري الملون لرأس ملكة ، يُفترض أنها الملكة
نفرтитي زوج إمنحتب الرابع. متحف برلين.

إلى ذكرى جورج إدوارد ستانهوب مولينيه هيربرت إيرل كارنرفون
George Edward Stanhope Molyneux Herbert
Earl of Carnarvon

تقديم

فى أوائل ديسمبر ١٩٢٢م تم الإعلان عن اكتشاف مقبرة
توت عنخ آمون فى وادى الملوك فى البر الغربى لطيبة {الأقصر} ،
الذى قام به الراحل اللورد كارنرفون Carnarvon والسيد هوارد
كارتر Howard Carter ، ذلك الإكتشاف الذى بعث موجة من
التعجب والتوقع فى كل الشعوب المتحضرة على وجه الأرض. إذا
نظرنا فى محتويات المقبرة التى تم نشرها بالتمام بشكل يدعو
للإعجاب فى جريدة التايمز Times ، فإننا نقرأ عن العديد من
العربات الحربية وكراسى الملك ، والأرائك المذهبة ، والملابس
الملكية ، وصناديق الحلى والطعام ومستلزمات التجميل والزينة ،
وتماثيل خشبية كبيرة مطلية بالقار ، وأوعية من المرمر ذات أشكال
وجمال لم يُعرف من قبل ، والعديد من الأشياء الأخرى التى لا
تُحصى ، حتى أن الرأس يدور إذا حاول تخيل المنظر الذى واجهه
عيون المكتشفين الإثنين عندما دخلا الحجرتين الخارجيتين للمقبرة.

فأولئك الذين شاهدوا الأشياء الصغيرة واستمتعوا بامتياز فحصها
تعجبوا من الجمال الفائق ودقة الصنع. ولاشك أن أهمية تلك "اللقية"
من وجهة النظر الفنية يصعب وصفها بالكلمات. ومن السهل أن
نصدق ثروت باشا {رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت} عندما يقول
أن أيًا من التقديرات المنشورة ليس منصفًا بالنسبة للأشياء التي تم
العثور عليها ، وليس في هذا ما يثير الدهشة ، إذ أن جمالها نادر
يفوق الوصف (التايمز Times ، ١٨ يناير ١٩٢٣م ، ص ٩).

كل الكتاب الذين تناولوا هذا الكشف بالوصف والمناقشة لم
تفتهم الفرصة للإعلان عن القيمة العظيمة وعن أهمية "لقية" اللورد
كارنرفون ، كمثل للفنون والصناعات التي ازدهرت في مدينة أخوت
إتن {التي نقرأها كثيراً أخت إتن أو أخيتاتون} تحت حكم مُنشئها
الملك الآتوني المشهور بمنحبت الرابع {إخناتون} ، إلا أن بعضهم
ضل الطريق بسبب تشوقه لتحقيق المزيد من التقدير للكشف العظيم ،
وأدخل في مديحه عبارات ذات طابع تاريخي إلا أنها غير صحيحة.
فأعلن بعضهم أن المعلومات المُستقاة من " اللقية " تحتم علينا إعادة
كتابة وصياغة تاريخ الأسرة الثامنة عشرة ، ولا أساس لذلك من
الصحة ، إذ أن البيانات الرسمية عن مقبرة توت عنخ آمون
ومحتوياتها لا تحتوي على حقائق تاريخية جديدة. ويحتمل أن اللورد
كارنرفون قد استمد من المقبرة معلومات يمكن أن تزيد معرفتنا عن
فترة حكم توت عنخ آمون ، إلا أنه لم ينشر شيئاً عن ذلك. والواقع
أننا لا نعرف الآن المزيد عن حكم ذلك الملك أكثر مما كنا نعرف
قبل الكشف الخارق للعادة الذي قام به اللورد كارنرفون. وهناك

كُتَاب آخرون حاولوا أن يجعلوا من توت عنخ آمون واحداً من أعظم ملوك مصر ، إلا أن هذه ليست هي القضية. فعندما اعتلى العرش أعلن إيمانه بديانة زوجه ، أى عبادة آتون ، قرص الشمس ، أو الآتونية ، واستمر فى ذلك بعض الوقت ، إلا أنه أدرك بسرعة أن الآتونية قد سقطت وعندئذ استبدل آمون بآتون فى اسمه وفى اسم زوجه ، وأصبح تابعاً متحمساً لآمون وعابداً لآلهة بلده القديمة. لذا تعتمد شهرة توت عنخ آمون على حقيقة أنه أعاد الأمة لعبادة آمون ودفع الآتونيين إلى التخلي عن السيطرة على إيرادات ودخل ذلك الإله. وحاول كتاب آخرون أن يُظهروا توت عنخ آمون على أنه " فرعون سفر الخروج " {ثانى أسفار التوراة} ، وأن زوجه عنخ سن يا إتن (أو إمن) هى التى التقطت موسى من قارب القش الذى كان فيه ، إلا أن هناك أكثر من خروج ، ولم يكن توت عنخ آمون ملكاً على مصر فى زمن أى منهم. وقد أشيعت أيضاً آراء غريبة عن بعض قطع الأثاث التى وجدها اللورد كارترقون فى المقبرة ، منها أن الأريكة الجنائزية أو النعش ذو الأرجل المصنوعة على شكل وحش غريب ، قيل انها من أصل يرجع إلى بلاد ما بين النهرين ، وليست هذه هى الحقيقة ، فإن هذا الوحش الغريب هو الحيوان الخرافى المركب الذى يُسمى " عميت " أى " أكلة الموتى ". ويمكن لنا أن نراها فى منظر الحساب فى كل البرديات الكبيرة التى تحتوى على النص الطبى لكتاب الموتى من عصر الدولة الحديثة. ولا شك فى الأجزاء المكونة لهذا الوحش ، إذ ورد فى بردية هوفنر:



" يتكون نصفها الأمامى من تمساح ، وخلفيتها من جسم فرس النهر ، أما وسطها فجسم أسد ". ولم يعرف سكان بلاد ما بين النهرين وحشاً مشابهاً لهذا ، ولا يمكن أن تصنع هذه الأريكة أو ذلك النعش إلا فى مصر ، حيث اعتقد الناس فى وجود " عميت " وكان الخوف منها عظيماً.

تجاوز بعض من كتبوا عن اكتشافات اللورد كارنرفون الحديث عن محتويات قبر ثوت عنخ آمون إلى الكلام عن الثورة الدينية التى يبدو أن إمنتحتب الثالث هو الذى بدأها بناء على طلب زوجه الملكة تى ، واستمر فيها بمزيد من العزم ولدهما إمنتحتب الرابع ، الذى اعتقد أنه تجسيد لآتون ، إله قرص الشمس. تلك المناقشات التى قادت الكثير من الناس إلى فكرة خاطئة تماماً عن شخصية إمنتحتب الرابع ، وعن طبيعة عبادة آتون. ذلك الملك الذى وُصف على أنه مُصلِح ، متفرد ، مثالى ، مسالم. إلا أنه كان مصلحاً بدأ إصلاحاً لا يدوم ، متفرداً حوّل إرادات آلهة بلده إلى مصلحته الخاصة ، مثالياً اتبع ديانة مادية ، مسالماً أضاع الجانب الآسيوى من الإمبراطورية المصرية. نصت تعاليمه على وحدانية آتون ، التى قورنت بالتوحيد فى الأمم المسيحية ، إلا أنه لقرون خلت قبل عصره نادى كهنة هليوبوليس وممفيس وهرموبوليس وطيبة بنفس الوجدانية التى نادى بها على أن تكون ميزة خاصة لآلهتهم هم. هذه التعاليم التى قيل أنها رستخت فى النفوس عقيدة وقواعد أخلاقية أفضل من أى تعاليم وردت فى العهد القديم {أسفار التوراة وما تلاها} ، ويريد بعض المغالين منّا أن نعتقد أن هذه التعاليم تفوق تعاليم المسيح

المشروحة في الأنجيل من حيث المفاهيم الروحية والوصايا السامية. ومن الناحية العملية ، فإن كل ما نعرفه من تعاليم إمنحسب الرابع موجود في ترتيلة (صلاة) قصيرة تُنسب للملك نفسه ، وترتيلة طويلة تم العثور عليها في مقبرة " آى " - تابعه وخليفته - فى تل العمارنة. تجذبنا لغة وعبارات هاتين الترتيلتين ، لما فيهما من تقدير منصف للخيرات التى يمتنع بها كل من الإنسان والحيوان على حد سواء من نعم الخالق ، والتأثير الخصب لحرارة وضوء الشمس. إلا أننى لا أستطيع أن أجد فيهما تعبيراً واحداً يحتوى على ثمة تعاليم روحية ، أو أى حضن على طهارة الحياة ، أو أى كلمة عن الوعي بالخطيئة ، أو أى دليل على الاعتقاد فى البعث والحياة الآخرة. من المحتمل طبعاً أن تكون كل الكتابات الدينية للأتونيين - عدا الترتيلتين المذكورتين - قد أُلغيت ، إلا أن الواقع يظل أنه بناء على هاتين الترتيلتين ، وعلى مقتطفات منهما تم العثور عليها فى مقابر الموظفين فى تل العمارنة ، بنى الكتّاب المحدثون آراءهم وتصريحاتهم عن السمة الروحية العالية لعقيدة وأخلاقيات الأتونيين.

حينما تناقشت فى ذلك الموضوع وموضوعات مماثلة مع لورد كارنرثون ، حوالى منتصف شهر ديسمبر الماضى {١٩٢٢م} ، اقترح على أن أولف كتاباً صغيراً يضم بين دفتيه الحقائق المعروفة عن فترة حكم توت عنخ آمون ، وأن أضيف إليها فصلين أو ثلاثة عن عبادة آمون وعبادة آتون وعن التوحيد فى مصر القديمة جلاءً للحقيقة التى تم تشويهها فى هذا الشأن. وقد كان مهتماً بشكل خاص بضرورة تقديم ترجمة لبعض التراتيل والصلوات الخاصة بكل من

أمون وآتون ، وأن يصاحب أكثرها أهمية النص الأصلي
الهيروغليفى ، حتى يتمكن كل مهتم بالخوض فى هذا الموضوع من
التوصل إلى استنتاجه الخاص عن طبيعة تربيلى آتون ، هل هى
روحية أم مادية ؟ وفى الصفحات التالية حاولت تنفيذ مقترحه .
وأحسب أنه من المناسب للمقام هنا أن أتحدث - فى بضع كلمات -
عن منجزاته فى مجال علم الآثار المصرية .

فى شتاء ١٩٠٧-١٩٠٨ ، قام اللورد كارنرفون بإجراء
سلسلة من الحفائر المكثفة فى منطقة دراع أبو النجا وفى وادى الدير
البحرى فى البر الغربى لطيبة . وقد ساعده فى التنقيب - كما ساعده
فى كل حفائره التالية - السيد هوارد كارتر المفتش السابق فى
مصلحة الآثار المصرية . هذا الرجل الذى تمتع بمميزات خاصة جداً
أمكنه للعمل الذى قام به لحساب اللورد كارنرفون ، منها معرفة جيدة
بالعامية العربية ، وخبرة جيدة فى التعامل مع السكان المحليين
وتجار " الأنتيكة " فى البلد ، ومهارة فى أعمال التنقيب ، وولع شديد
بالآثار المصرية القديمة . اكتشف اللورد كارنرفون فى الدير البحرى
قطعتين هامتين من الأوستراكا مدون عليهما نصوص ، تتعلق
إحداهما بأعمال الملك كامس ، وتحتوى الأخرى على جزء من نسخة
حديثه لنصائح پتاح حتب . وفى موسم ١٩٠٨-١٩٠٩ اكتشف مقبرة
تتبعى ومقبرة من الأسرة الخامسة والعشرين تحتوى على نوابيت
لتسعة أشخاص . وفى ١٩١٠-١٩١١ اكتشف معبداً لم يكتمل بناؤه
لحتشبسوت ، ومعبداً محطماً لرمسيس الرابع ، وجبانة من عصر
الأسرة الثانية عشرة ، وعدداً من الدفانات المبكرة . وهناك حصر

شامل لكل ما عمله فى طيبة منشور فى كتابه: " خمس سنوات من الاستكشاف فى طيبة (١٩٠٧-١٩١١) ' Five Years' Explorations at Thebes (1907-11), Oxford, 1912 وهذا الكتاب مزود بثمانين لوحة كبيرة واضحة ، وهو من أكثر الكتب إحصاءاً فى مجال الآثار المصرية القديمة إلى الآن. وفى ١٩١١-١٩١٢ استمر فى أعمال التنقيب فى طيبة ، واقتحم أرضاً جديدة فى " سخا " فى الدلتا. واكتشف سنة ١٩١٢ فى طيبة خبيئة كبيرة فى معبد حتشبسوت تتكون من أوان من المرمر وأدوات وأشياء أخرى ، وكذا عدداً من المقابر على شكل حفرة من عصر الأسرة الثانية عشرة. كما اكتشف سنة ١٩١٥ مقبرة إمنحتب الأول وأزاح عنها الركام ، واكتشف فى موسم ١٩١٦-١٩١٧ مقبرة أعدت لحتشبسوت عثر فيها على تابوت حجرى رائع من الحجر الجيرى المتبلر يحمل اسم الملكة وألقابها كزوج للفرعون الحاكم. من المستحيل أن نعدد هنا - مهما أوجزنا - أعمال التنقيب المتنوعة التى قام بها فى طيبة بين ١٩٠٧ و ١٩٢١ ، لكن علينا أن نقر أنه أشرف عليها كلها بنفسه وتحمل وحده كل نفقاتها ، المعروف مدى ضخامتها.

قام فى السنين الأخيرة بالبحث عن مجال أرحب للتنقيب فركز اهتمامه على وادى مقابر الملوك فى غرب طيبة ، الذى كان أحد المواقع المقصورة على التنقيب الحكومى. فى السنوات الأولى من هذا القرن {العشرين} قام السيد ت. دافيز T. Davis - بعد الحصول على إذن الأستاذ الراحل ماسبيرو Maspero مدير مصلحة الآثار المصرية - بالتنقيب بمساعدة السيد هوارد كارتر

والسيد أيرتون Ayrton ، لينجج في العثور على مقابر الملكة حتشبسوت وتحتمس الرابع وهورمحب ومنفتاح وسيتاح ، والمقبرة التي لم يسبق فتحها لبيوي وتويو والدا الملكة تى. وعندما فرغ من عمله أخبر ماسبيرو بقوله " لقد أصبح الوادى خاوياً ، ولا يوجد فيه المزيد من المقابر الملكية " ، وتقبل معظم الناس هذا الكلام كحقيقة واقعة. إلا أن لورد كارنرفون لم يقتنع بصحة رأى السيد دافيز ، وبعد الحصول على الإذن الضرورى من الحكومة ، بدأ هو والسيد كارتر العمل لإثبات عدم صحته. لقد شعر كلاهما أن مقبرة ملكية أو اثنتين مازالتا موجودتين فى مكان ما من السوادى ، وبالمعرفة والحصافة والعمل للدعوب والحظ تمكنا من إظهار أروع " لقية " أثرية تم العثور عليها فى مصر. وفيما يلى مقتطف من رسالة كتبها لى فى الأول من ديسمبر ١٩٢٢ ، يُظهر كم شعر هو نفسه بانتصاره العظيم. يقول: " سطر واحد فقط لأخبرك أننا وجدنا - كما أتوقع - أروع " لقية " تم الكشف عنها فى مصر أو أى مكان آخر. لقد دخلت غرفتين اثنتين فقط ، إلا أن بهما ما يكفى لملا معظم حجراتك فى المتحف البريطانى (الطابق العلوى) ، ويوجد باب موصد لا نعلم ما خلفه. الأمر ليس فقط كمية الموجودات ، بل الجمال المبهر والصناعة الرائعة والأصالة المتفردة التي تجعل منه اكتشافاً فوق العادة. وجدنا عرشاً أو كرسيّاً أجمل من أى شئ سبق العثور عليه فى مصر ، وآنية من المرمر رائعة الصنع مجهولة تماماً خارج نطاق المقابر ، وأرائك ملكية ومقاعد وأسرة ومشغولات خرز عجيبة وأربع عربات حربية مطعمة بالأحجار الكريمة ، وتمائيل للملك بالحجم الطبيعى

مطلية بالقار لها صنادل {أخفاف} صلبة من الذهب ومغطاة بشارات الملك ، وصناديق لا تعد ولا تحصى ، وملابس الملك ، و{تمثال} شوابتي ارتفاعه ٣ أقدام ، وعصى ملكية. لم أفتح الصناديق ولا أعرف ما فيها. لكنني وجدت خطابات على ورق بردي وخزفيات ومجوهرات وبقاات وشموع على حوامل بشكل عنخ {علامة ولفظ الحياة}. كل هذا فى الحجرة الأمامية ، بخلاف العديد من الأشياء التى لا تستطيع رؤيتها. بلى هذا حجرة أخرى لاتستطيع دخولها بسبب فوضى قطع الأثاث وتمائيل من الممرمر وغيرها من الأشياء المتركمة فوق بعضها بارتفاع ٤-٥ أقدام. ثم نصل إلى الباب الموصل الذى يوجد خلفه الملك - وأنا متأكد من ذلك - وكذا ما لا يعلم إياه إلا الله. بعض الأشياء فى حالة ممتازة ، وبعضها فى حالة سيئة ، إلا أن الأمر كله عجيب لا يُصدق ، كل هذا ، وهناك ذلك الباب الموصل !! حتى لاكو Lacau {مدير مصلحة الآثار المصرية وقتها} أذهله ما رأى. (تم حذف فقرتين) سوف يكلفنى هذا الشئ الكثير ، إلا أننى سوف أحاول أن أقوم بالأمر كله وحدى. أعتقد أن كارتر وثلاثة من المساعدين سوف يلزمهم قرابة العامين لرفع كل هذا ، إذا وجدنا الكثير خلف الباب الموصل. سوف أعود خلال عشرة أيام وسوف أحاول أن أراك. - المخلص ، كارنرفون. "

بعد أن عثر على " اللؤلؤة الثمينة " فى مجال الآثار ، صار مهتماً - بكرم ملحوظ - بكل من استطاع الحضور إلى الأقصر ليشاهدها ويشاركه فرحته بها. وقام بالاتفاق مع جريدة التايمز لتنتشر تفاصيل رفع محتويات الغرفتين الخارجيتين ، ولتخرج للناس الصور

الفخمة لمعظم الأشياء المذهلة ، تلك التى التقطها لحسابه أحد أعضاء البعثة الأثرية الأمريكية ، وهكذا تمكن الناس فى كل بقاع الأرض - وبشكل يومى تقريباً - من متابعة تقدم العمل. وتوافد الزائرون من أقطار عدة إلى الأقصر متراحمين لمشاهدوا مقبرة توت عنخ آمون والعجائب التى احتوت عليها ، وبذل لورد كارنارفون أقصى ما فى وسعه لمساعدتهم بكل طريقة. منحهم وقته وطاقته ومعرفته بكل سخاء ، لكن هذا العمل - للأسف - استنفد قوته واستهلكه ، إذ لم يكن قوى الجسم شديده ، هذا بالإضافة إلى آثار حادث سيارة خطير عانى منه منذ عدة سنوات ، ومرضه مرتين فى السنوات الأخيرة ، مما استنزف الكثير من حيويته. لم يثن عزمه شئ فروحه وشجاعته لا يقهران ، لكن العمل الذى ألزم نفسه به استهلكه تماماً. حينئذ - عندما كان منهكاً تماماً ومتعباً بالعمل - قرصته بعوضة فى وجهه. وكل مسافر لمصر وقع ضحية للبعوض الضار المميت - الذى ينتشر فى البلد بالملايين مع رياح الجنوب الحارة {؟؟} فى مارس وأبريل - يعرف مدى خطورة الحمى والإعياء الذى يعقب هجماتها الناجحة على جسم الإنسان. مرت الأيام وتزايد عمله ، ولأنه رفض أن يريح نفسه أصابه داء سقيم اضطره أن يذهب إلى القاهرة ليسلم نفسه لأيدى الأطباء. هناك تم عمل كل شئ استطاع أن يديره علم وصناعة الطب ، لكنه أخذ يذوى شيئاً فشيئاً حتى رحل بسلام فى الصباح الباكر يوم الخامس من أبريل {١٩٢٣م}. تعاطف العالم كله معه عندما كان يرقد عليلاً فى حجرته فى القاهرة يخوض حربه مع

الموت ، إذ كان عليه أن يقضى عاجلاً بعد أن فاز بنصر مجيد بدا معجزاً.

إن موت اللورد كارنرفون ضربة موجعة لعلم دراسة الآثار المصرية ، وخسارة لا يمكن تعويضها. لقد كرّس نفسه طوال سنة عشر عاماً للتقريب في مصر ، وبذل في سبيل ذلك الوقت والجهد والمال بدرجة لم يصل إليها أى عالم فى الآثار قبله. لقد تمكنت روح مصر من نفسه منذ قرابة عشرين سنة ، وزادت قبضتها إحكاماً عاماً بعد عام. جعلته كثرة الجدل فى موضوعات دراسة اللغة المصرية بارد الأعصاب ، وعندما كان علماء المصريين يتشاجرون على التواريخ والتقويم فى حضرته كان ضحكه المكتوم يمتعنا. لكنه كان متحمساً لجمال الشكل والألوان الذى وجده فى الآثار المصرية القديمة ، ويحتمل أن مجموعته من القطع الصغيرة منها فى قلعة هاى كليز Highclere - نظراً لحجمها - هى الأكثر إحكاماً. كان لا يهتم إلا بالأفضل ، ولا يرضيه إلا هذا ، وعندما يحصل على الأفضل يظل مقتنعاً أنه لا بد من وجود شئ أفضل من الأفضل فى مكان ما ! نشد الجمال فى التصميم والشكل واللون فى الآثار المصرية حتى أصبح الحب عبادة فى سنواته الأخيرة. كان ذوقه سليماً وحسه فى تمييز الحقيقى والأصلى لا يضاهاى. ولم يكن للمال قيمة عنده إذا قورن بقطعة " أنتيكة " جميلة ، وكان يقول عادة - مع سير هنرى رولينسون Rawlinson - " إن الحصول على المال أسهل من الحصول على الأنتيكة ". جعله العمل فى مصر على صلة بأهل البلد على اختلاف مشاربهم ، وكان محبوباً فى كل مكان ،

وسوف يتذكره الكثيرون لفترة طويلة كمستخدم كريم وكصديق. ولعه بالفكاهة وسرعة النكتة وقدرته على فهم الأمور بسرعة وتعاطفه الحاضر ولطفه راق الطبقة الحاكمة في مصر وحبّ فيه أصدقاءه الكثيرين في الشرق والغرب. تجرأت هنا فتحدثت فقط عن لورد كارنرفون عالم الآثار الكبير المنزه عن الغرض ، الذي بذل سنوات من عمره وثروة لا تحصى من أجل حبه للعلم ، ذلك لأنني ليس لدى لا المعرفة ولا القدرة على الحديث عن نجاحه كرائد في التصوير الفوتوغرافي الملون أو كمقنن للمطبوعات والصور والكتب إلخ. كل هذا والعديد من جوانب شخصيته ومشاغله تم التعرض لها بشكل موفق في تقدير واعٍ لحياته وشخصيته في مقال تم نشره في جريدة التايمز (٣٠ أبريل) يوم مواراته التراب في بيكون هيل Beacon Hill.

إ.أ. ووليس بدج

المتحف البريطاني - ٧ مايو ١٩٢٣م

الأسرة الثامنة عشرة

حكم ملوك الأسرة الثامنة عشرة حوالى ٢٣٠ سنة ، أى من ١٥٨٠ - ١٣٥٠ قبل الميلاد تقريباً ، وكانت أسماؤهم كالتالى:

أحمس ١٥٨٠ ، حكم حوالى ٢٢ سنة.

إمنحتب الأول ، ١٥٥٧-١٥٥٨ تقريباً ، حكم حوالى ١٠ سنوات.

تحتمس الأول ، ١٥٤٦ تقريباً ، حكم حوالى ٣٠ سنة.

تحتمس الثانى ، ١٥٠٠ تقريباً ، حكم حوالى ٣ سنوات.

حتشبسوت و تحتمس الثالث ، ١٥٠٠-١٤٤٧ تقريباً.

إمنحتب الثانى ، ١٤٤٨ تقريباً ، حكم حوالى ٢٦ سنة.

تحتمس الرابع ، ١٤٢٠ تقريباً ، حكم حوالى ٨ سنوات.

إمنحتب الثالث ، ١٤١٢ تقريباً ، حكم ٣٦ سنة.

إمنحتب الرابع ، ١٣٧٦ تقريباً ، حكم ١٧ سنة.

سع كا رع { سمنخ كا رع } و توت عنخ آمون و آى ، حكموا ٨-١٢ سنة.

حور محب ، ١٣٥٠ تقريباً ، حكم ٣٤ سنة.
